ذاكـــــــرة الأشـــيـــــاء

# الجـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
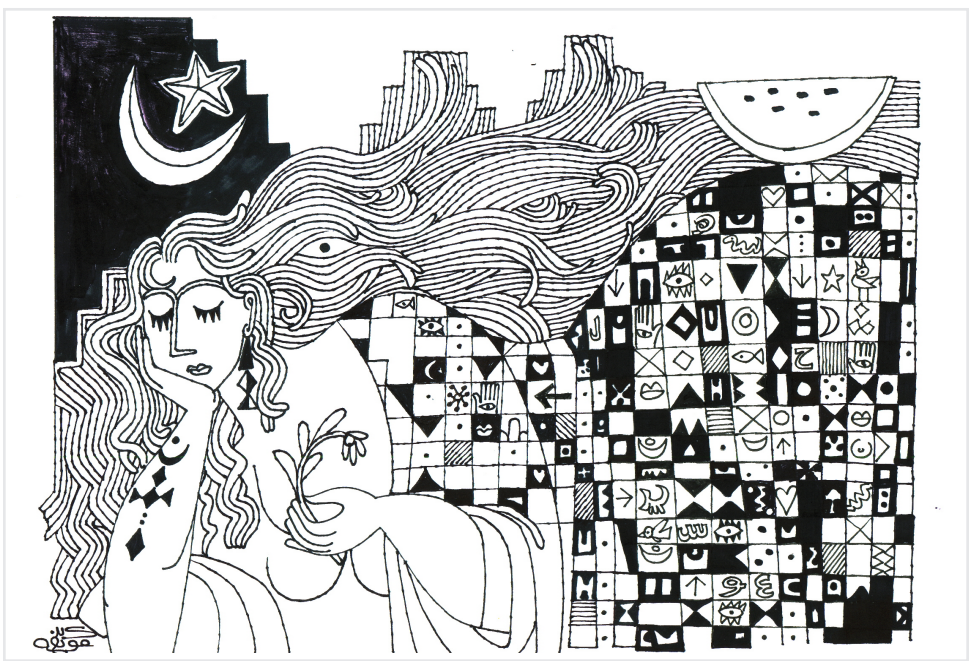


اعتقال الطائي

ضاقتْ بي الدار، فحملتُ سلتي وهربتُ إلى الغابة المقابلة، لكنّ صوته ظل يرن في أذني حينما قال للمهندسة المعمارية: - أعلم أن النافذة والباب الزجاجي يكفيان لتوفير الضوء في الغرفة، مع ذلك أريد أن يكون في السقف نافذة أيضاً كي ترى زوجتي البابلية النجوم ولتشعر وكأنها نائمة على سطح دارهم في بابل.

لم يعلم، كم عانيت من السهاد وأنا أرقب ملايين النجوم التي كانت تحمل ذكرى أمي وأخواتي يوم كنّ يشرن إلى النجوم مرددات اسمائهن. كلما رأيت الدب الكبير، تناهى صوت أمي التي كانت تسميه بـ "بنات نعش". تتألق النجوم إلى درجة يشعر فيها المرء وكأنها تنبض. وأنام برفقة ذلك النبض.

حشّت الخطى، وولجت الغابة، إنها ملاذي الوحيد التي أنفث فيه حزني وألمي، وكل ما يعتصر قلبي، أبذل طاقة في الصعود والنزول بين المرتفعات فأحدد هدفاً، هو البحث عن الفطر الذي سيستلب كل قواي، لكن رحى الذاكرة لن تتوقف عن الدوران.

تعثرتْ قدماي، وكدتُ أسقط وانحسرتْ السلة بين صخرتين، حاولت جاهدة سحبها فضغطتْ على النبذة الحساسة لبقايا جرح قديم نبتَ في الرسغ. أفلتُ يدي اليسرى من السلة وتجمدت عيناي على عود شجرة ناصع البياض ذكرني بلون عظم يدي الذي رأيته عندما قطعت يدي بشفرة النحت عام ١٩٧٦ في فرع النحت لقسم الديكور في تلفزيون بغداد. رفعته، وكان ملمسه ناعماً كالحرير. لكن حجري رحى الذاكرة ظلا يدوران يعيدان بي إلى هناك.

كان فرع النحت عبارة عن قاعة كبيرة للعمل، إضافة إلى غرفة صغيرة تسع منضدتين وخزانة لحفظ آلات النحت. كنت أعمل مع نحات أدى سلوكه المقيت إلى أن أهمله تماماً إلى درجة لم أعِ وجوده. لذا حملَ حاجياته وانتقلَ إلى قسم آخر، ومن هناك كان يقود حملات شتائم وتشويه سمعة وكل ما ينعش النفوس المريضة.

كانت تعمل معي النحاتة سهيلة التي أنجبت في سن مبكرة ولداً أسمته أنكيدو. وانضم إلينا النحات فراس عبد المجيد الذي كان يعمل في قسم الماكياج. كنا ثلاثة زملاء تربطنا صداقة حميمة، لكن ذلك الوضع لم يرق لرئيس قسم الديكور عبد الأمير يوسف الذي كان رئيساً للاتحاد الوطني يوم كنا طلاباً في أكاديمية الفنون الجميلة، ونائبه ذو البشرة السوداء محمد تعبان. لذا لم تكل أيديهما عن كتابة التقارير والإساءة لنا وإهانتنا وجهاً لوجه حتى أن عبد الأمير يوسف صرخ بوجهي قائلاً:

" اللي ما يمشي معانا نبيده "

كانت سهيلة عصبية المزاج، متطرفة المشاعر، تحب بعنف وتكره بنفس العنف. كان سلوك رؤسائنا يسبب لها توتراً لم تستطع مجابهته، فقررت أن تنتقل من التلفزيون لأن لها عائلة ووضعها في العمل صار يؤثر عليها، لذا أوقفت ذات يوم مدير المؤسسة لطيف الدليمي لتتوسل إليه قائلة:

" استاذ الله يخليك أنقلني لغير مكان، آني ما ريد أبقى هنا "

وقبل أن تُنقلَ سهيلة، كان لابد من وضع شرطي لمراقبتنا، فاستلمنا هدية وهي النحات الفطري أبو محمد الذي كان يعمل في قسم النجارة، كان عبارة عن جلد وعظم. يعمل منحوتات غريبة. رجل نصف أمي، كان يسمي التشريح "تجريح" وأراد ذات يوم أن يستدرجنا في الحديث كي يقدم تقريرا لرؤسائه فقال:

"هسة هي إسمها الناصرية... بعد منين جايبين بيقارة؟"

كان أبو محمد يعتبر نفسه مايكل أنجيلو ويفهم بالفن السينمائي أيضا، فراح يروي لنا فلماً أمريكياً حتى وصل إلى وصف المشهد الغرامي تمثيلاً:

" إجه الممثل وحضنها، وبعدين بدى يمسد بصدرها فكالت: نو جوني. نو! يعني لاجوني لا "

لم نستطع أن نتمالك أعصابنا، أسرعنا إلى غرفتنا الصغيرة وكاد يغمى على سهيلة وفراس من الضحك بعد أن علّقتْ على قصة أبو محمد:

" سمعتوا؟ ترجمة خوري وعبيد".

كان ضحكاً مؤلماً لأننا أصبحنا مادة لأناس أميين.

وبعد فترة قصيرة نُقل فراس وسهيلة وعُدد من الفنانين الموهوبين. وبقيت وحيدة مع ابي محمد، وكان يصول ويجول ويقول كل ما تمليه عليه عبقريته. وكنت أتحاشى الحديث معه، خاصة وأننا نعمل في نفس القاعة. لم يجد مادة لتقريره فالعمل تمثال سومري لإحدى المسرحيات التلفزيونية، لقد أنجزته في الوقت المحدد، وتركته في القاعة مغادرة التلفزيون إلى البيت.

في صباح اليوم التالي، دخلت قسم النحت، وكان أبو محمد يدندن لحنا لمحمد عبد الوهاب. ألقيتُ التحية متجهة نحو الغرفة الصغيرة، واعتقدت أنني أخطأت المكان، لقد تحولت الغرفة إلى مخزن للوحات قسم الديكور. حملت حقيبتي وذهبت أستفسر من قسم النجارة عن طاولتي والخزانة التي حفظتُ فيها أشيائي الخاصة. أسرع رئيس قسم النجارة "أبو صباح كما أتذكر" ليبحث عن المنضدة فوجدها في قسم الأكسسوار راداً عليه أحد الموظفين بالقول:

" بالليل آمرنا نائب رئيس القسم محمد تعبان بأن نفرغ الغرفة لأنهم ما محتاجيه "

فَرحتُ بالعثور على طاولتي أو بالأحرى على محتوياتها ومن بينها صور أولاد أخواتي التي التقطتها لهم وتصميم عملته لمجموعة شعرية للشاعر حسب الشيخ جعفر عنوانها "عبر الحائط في المرآة ". نزل رئيس قسم النجارة وهو يستعر غضباً ليضرب على فخذه قائلاً:

" الله أكبر! صارلي عشرين سنة أشتغل بهالكَرخانة، بس بحياتي ما شفت بنت تتحمل بهذا الشكل، ولا شفت أحد سَوّة بأية بنت حتى لو كانت عاهرة مثل ما يسوون بهاي البنية!"

أمر العمال بإعادة محتويات الغرفة ورحت أخرج بيدي اللوحات المكدسة، ابتسمت لأبي محمد ودخلت غرفتي. لم يكتفوا بذلك، بل كتبوا تقريراً للمدير العام وهو أنني لم أنجز التمثال وبسببه تأجل التصوير. اصطحبني أحد العمال إلى خارج القسم ورحنا نبحث عن التمثال السومري، فوجدناه في مزبلة القسم.

كاد يقتلهم هدوئي وابتسامتي.

تناولت مكعباً من مادة الستايروفورم الخفيفة التي صنعت منها التماثيل، لكني هذه المرة أخذتها إلى غرفتي الصغيرة، وبدأتُ نحت رأس امرأة ترفع رأسها صارخة، ورحت أقطع بالشفرة بكل ما أملك من قوة حتى قطعتْ يدي ورأيتُ لأول مرة عظماً بشرياً ناصع البياض كعود الشجرة الذي وجدته في الغابة. لم أكمل التمثال وظلت ملامحه حادة قريبة إلى القبح، لكني رأيته جميلاً بصرخته دون نعومة.

صرخة الوليد الأولى هي دليل على كينونته، ونحن العراقيين فتحنا أعيننا على البكاء. فهل على العراقي أن يبكي أبداً كي يثبت وجوده، كينونته؟

لم أجد الفطر وبقيت سلتي فارغة، وفجأة انساب من بين الأشجار نور غريب، أسرعت باتجاهه ووضعت سلتي على الصخور تحت شعاعه كي أجمع نورا أرسله للوطن الذي غرق في الظلمات.

حملت سلتي أهدهد فيها النور وعود الشجر، هبت ريح مفاجئة تنذر بالمطر الذي سبقني إلى البيت. وضعت سلتي لأغير ملابسي المبلولة وعدت لأجد العود يحترق في الموقد مع الذكرى الأليمة.

وبقيت الندبة على الرسغ أبداً.

حزيران ٢٠٠٧ بودابست

# من وراقي بغداد القديمة في سوق السراي .. آل خضر

زين النقشبندي

نعمان الاعظمي

## مكتبة ملا خضر

أسس هذه المكتبة الملا خضر وهو خضر بن جدوع بن شبيب بن شاتي بن محمد من عشائر ربيعة، في أحد شهور سنة ١٨٧٠ لبيع الكتب في أحد الدكاكين الصغيرة المتراصة التي كان يتألف منها سوق السراي(شغلت المكتبة الدكان السابع على يمين الداخل إلى سوق السراي من جهة شارع المتنبي)، القريب من منشآت السراي والقشلة مقر الحكم والإدارة عهد ذاك، فكانت تلك المكتبة من أولى المكتبات التي عرفها السوق، والنواة التي صيرته، فيما بعد مع باقي المكتبات التي أنشئت سوقاً متخصصاً ببيع الكتب والصحف (أكد هذه الرواية عبد الكريم العلاف بقوله: وأقدم بائع كتب بها اي في سوق السراي هو ملا خضر (بغداد القديمة، بغداد، ١٩٦٠، صفحة٥٦). كما أكدها أيضاً الأديب الدبلوماسي الحاج أمين المميز بقوله (هو ملا خضر شيخ الوراقين وعميد الكتبجية، لا بل الوحيد في ذلك الزمان من الذين يتعاطون بيع وشراء الكتب المستعملة والجديدة والمخطوطات القديمة)، وبعد وفاته افتتحت في سوق السراي ثلاث مكتبات هي المكتبة العصرية لصاحبها محمود حلمي ومكتبة نعمان الاعظمي ومكتبة عبد الكريم خضر حفيد الملا خضر. قلنا: كذا والصحيح أنه أبنه (بغداد كما عرفتها، بغداد ١٩٨٥، صفحة ١٠٧) هذا بينما يذكرالسيد شمس الدين الحيدري في مقابلة أجريت معه (بتاريخ ١٥ أيار ١٩٩٤) أن الرائد لمكتبات سوق السراي هو المرحوم نعمان الاعظمي عام ١٩١٢م (كذا والصحيح أنها تأسست سنة ١٩٠٤م) صاحب المكتبة العربية، وبعده جاء المرحوم محمود حلمي حيث أسس المكتبة العصرية عام ١٩١٤، وكانت هناك أيضاً مكتبة الشرق لعبد الكريم خضر، كما يذكر الدكتور عماد عبد السلام رؤوف في كتاب، مكتبة الشرق تاريخها، مخطوطاتها، بغداد، ١٩٩٩م.

## مكتبة الزوراء

وصادف أن أصدر والي بغداد في ذلك الوقت مدحت باشا جريدة (الزوراء) لتكون أول جريدة تصدر في العراق (صدر العدد الأول منها في ١٦، حزيران، ١٨٦٩م) ، فأختار الملا خضر أسم هذه الجريدة اسما لمكتبته فعرفت منذ ذلك الحين بمكتبة الزوراء، وقد تخصصت بشراء الكتب المطبوعة حجرياً والخطية وبيعها، وهي الكتب الأكثر وجوداً وتداولاً في ذلك العهد، إلا أن المكتبة برزت أهميتها حينما شرع صاحبها باستيراد مطبوعات بولاق من مصر، والكتب المطبوعة في إيران والهند، وبيعها لمواطنيه الراغبين في الاطلاع على ما كانت تصدره تلك المطابع الرائدة، ولم يقتصر نشاطه على ذلك فحسب، وإنما زاد بأن أخذ يشمل استيراد بعض الجرائد والمجلات منها الجوائب (صدر عددها الأول في ٣١ أيار ١٨٦١ وعددها الأخير في ٥آذار ١٨٨٤م )، التي كان يصدرها في استانبول الأديب احمد فارس الشدياق، حتى عد هو وكيلاً وحيداً لتوزيعها في بغداد، وكان الأديب الدبلوماسي الحاج أمين المميز قد سجل انطباعته عن الملا خضر أيام كان شاباً يافعاً بقوله واصفاً محلة الدنكجية المجاورة للسوق "نغادر باب سوك (سوق) الصياغ نحو رأس سوق السراي، وأول ما يقع عليه النظر شيخ وقور طاعن في السن جالس على أرض الدكان وتحته جلد شاة من الصوف الأبيض، لابساً عمامة رفيعة ونظارة ذات عدستين صغيرتين، محاطاً بالكتب والدفاتر والمخطوطات: ذلك هو الملا خضر شيخ الوراقين وعميد الكتبجية (لقد راودنا الشك في وجود هذه المكتبة وأخيراً عثرنا على كتاب (الأجوبة العراقية على الأسئلة الإيرانية) تأليف أبو الثناء الآلوسي عليه ختم مكتبة الملا خضر يعود إلى سنة ١٣٠٧هـ مما تأكد لنا بشكل قاطع وجود هذه المكتبة وهذه الشخصية التي مع الأسف وصلنا القليل من الوثائق عنها، اطلعنا على نسخة من هذا الكتاب في خزانة السيد عبد القادر جمال حسني الآلوسي).

وقد ظلت المكتبة تمارس نشاطها هذا حتى اغلقها صاحبها قبل وفاته سنة ١٩٣٣م بسنة واحدة، في حين أن الذي عثرنا عليه يؤكد أن عبد الكريم الملا خضر أنشأ في العشرينات مكتبة في سوق السراي وسماها مكتبة الشرق وهي أقدم من المكتبة الأهلية (لم يذكر السيد شمس الدين الحيدري بتحديد زمان تأسيس هذه المكتبة ولكنه اكتفى بأنها أقدم من مكتبتهم حيث أعتبرها تأتي بالمرتبة الثالثة بعد الاعظمي وحلمي ومكتبتهم الرابعة)، وربما تكون قد تأسست في سنة ١٩١٦ أو ١٩١٧ (يذكر الدكتور عماد عبد السلام أنها تأسست سنة ١٩٢٠، للمزيد راجع كتاب مكتبة الشرق تاريخها، مخطوطاتها.

ويذكر أيضاً الحاج أمين المميز أن الملا خضر كان الوحيد في ذلك الزمان من الذين يتعاطون بيع وشراء الكتب المستعملة والجديدة والمخطوطات القديمة وبعد وفاته افتتحت في سوق السراي ثلاث مكتبات هي المكتبة العصرية لصاحبها محمود حلمي ومكتبة نعمان الاعظمي ومكتبة عبد الكريم خضر حفيد الملا خضر وأخو عبد الرحمن خضر (القانوني الشهير المعروف في العراق) وزهرة خضر ومحمد خضر ابن صفي في المأمونية والمعروف عندنا يومئذ أن والدهم كان قد (بنى) وتوفي في مقتبل العمر وتولى جدهم الملا خضر رعايتهم وتربيتهم وقد قتل عبد الكريم برصاصة طائشة في رأس سوق السراي من جهة الأكمخانة في ثورة مايس ١٩٤١، ( المميز: بغداد كما عرفتها، صفحة ١٠٧، وكذلك راجع الملحق رقم (٨) كتابنا مباحث في اوائل المطبوعات و المكتبات البغدادية (سوق السراي كما عرفته بقلم الحاج أمين المميز).

## تأسيس مكتبة الشرق ( عبد الكريم خضر )

وولد للملا خضر سنة ١٩٠٠ ولد اسماه عبد الكريم (يحسن أن نشير هنا إلى أنه كان للملا خضر من الأبناء، عدا عبد الكريم المذكور، الأستاذ عبد الرحمن (وسيأتي تعريف به فيما يأتي) ومحمد، وكان فضلاً عن اختصاصه في الرياضيات رساماً بارعاً تتلمذ عليه الأستاذ الفنان فائق حسن، وقد وصفه الأخير بقوله "كان بارعاً في الرسم وعنده فرشاة عجيبة، وهو الذي قام بتدريبي لمدة سنة كاملة" (حوار مع فائق حسن، جريدة الجمهورية، بغداد في ١٣ نيسان ١٩٨٠)، وزهرة خضر التي أسست أول معهد نسوي حديث، بجهودها الذاتية، لتعليم الفتيات، وبذا تعد الرائدة الأولى للتعليم النسوي في العراق. (صبيحة الشيخ داود: أول الطرق، بغداد ١٩٥٨، صفحة ٤٨). ونجية خضر وكانت من مدرسات العربية القديرات (كما يذكر الدكتور عماد عبد السلام رؤوف في صفحة ٩ من كتاب مكتبة الشرق).

عني بتعليمه فأدخله المدارس الرسمية حتى تخرج من المدرسة الرشيدية في بغداد، وعمل عبد الكريم بعدها موظفاً في دائرة الكمرك في الموصل، إلا أنه لم يرتح لعمله هناك، فترك الوظيفة، وعاد إلى بغداد لينشأ في سنة ١٩٢٠ مكتبة قرب مكتبة أبيه في سوق السراي (شغلت أول الأمر الدكان الخامس على يسار الداخل إلى السوق من جهة شارع السراي، ثم أضيف أليها الدكان السادس الذي كان يجاوره (كما يذكر الدكتور عماد عبد السلام، المصدر السابق)، سماها (مكتبة الشرق)، مبدياً همة ملحوظة في مجال بيع الكتب وفي تجليدها أيضاً، ولم تمض إلا شهور قليلة حتى اندلعت ثورة العشرين الوطنية في العراق، فشارك الشاب عبد الكريم، مع شقيق له هو عبد الرحمن خضر (ولد سنة ١٨٩٨ ودرس القانون، فشغل مناصب قضائية عدة آخرها رئيس مجلس التمييز الشرعي، وله مؤلفات مهمة، منها شرحه لقانون أصول المحاكمات الجزائية البغدادي في ثلاثة أجزاء (طبع في بغداد والقاهرة (١٩٣٢-١٩٤٩)، وتفسير سورة الإخلاص (١٩٥٢) والوقف الذري بين الإلغاء والإصلاح (١٩٥٣) والصكوك الحقوقية، وشرح القانون المدني، وشرح قانون تقسيم الأموال المنقولة، وشرح محاكم الصلح، وقانون مؤسسة الزكاة )

ومن قادة المظاهرات الآخرين: منير القاضي، وقاسم العلوي، ورشيد رشدي، ينظر: عبد المنعم الجادر: تحقيق عن ثورة العشرين (جريدة الجمهورية، بتاريخ ١٢ شباط ١٩٧٢)، كما يذكر الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، (المصدر السابق)، في قيادة المظاهرات التي انطلقت في شوارع بغداد في تلك الأيام الحافلة (، والتي بلغت ذروتها في أثناء استشهاد النجار الآخرس في مدخل جامع الحيدرخانة، وكان من آثارها أن أصابت رصاصة طائشة عبد الرحمن، لكنها لم تصب منه مقتلاً.

## ذكريات

ويذكر قاسم الرجب في مذكراته ( ولم يعرف عنه استيراده للكتب من خارج العراق فبقيت مكتبته على حالها حتى وفاته) كما ذكرنا في ثورة مايس وقد ذكر لنا مختار محلة (جديد حسن باشا) السيد عاصم شهاب احمد الذي ولد وعاش في نفس هذه المحلة بتاريخ ١٩٩٧/١١/٢١ أنه شاهد عيان على مصرع عبد الكريم خضر الذي كان يسكن في نفس محلتهم وداره أمام دارهم قال قتل في حوادث الفرهود سنة ١٩٤١م بصلية رشاشة عندما ذهب ليتأكد من سلامة محله، وبقي ينزف لعدة ساعات أمام محله حيث كان هناك منع تجوال في حينها وقد منعته زوجته ولكنه أصر على الذهاب للمكتبة للتأكد من سلامتها فكانت نهايته.

في حين يذكر الدكتور عماد عبد السلام في كتاب مكتبة الشرق (واقتضت أعماله في جلب المطبوعات وتوزيعها أن يسافر إلى سوريا ولبنان وفلسطين ومصر، فشد الرحال إلى هناك مرتين، أولاهما سنة ١٩٣٧ والأخرى سنة ١٩٣٨، واستورد في رحلته الأولى عدداً كبيراً من الكتب غير المعروفة في العراق، منها ما كان حديث الصدور، ومنها ما كان قديماً قام هو بإعادة تجليده وشحنه إلى مكتبته ليباع في بغداد، وفي رحلته الأخرى تولى طبع كتاب (مروج الذهب) للمسعودي، طبعة تجارية، باع نسخها بسعر زهيد، وأتفق مع دار المأمون للنشر في القاهرة لصاحبها الأديب احمد فريد رفاعي على شراء كمية كبيرة من كتاب (معجم الأدباء) لياقوت الحموي، وهو ما زال قيد الطبع، فكانت تلك الدار ترسله اليه ببغداد جزءاً فجزءاً، ليتولى هو بيعه لزبائنه بصفتهم (مشتركين)، وكان آخر ما استورده من مصر، مجموعة كبيرة من الكتب أرسلها إلى العراق، على ظهر باخرة إيطالية وفي أثناء ذلك أعلنت الحرب العالمية الثانية، فلجأت الباخرة إلى أحد الموانئ الإيرانية، وحالت ظروف الحرب دون تسليم الكتب إلى صاحبها، حتى إذا ما انتهت الحرب سنة ١٩٤٥ تسلمها أبنه سعد، فقد كان عبد الكريم قد قتل قبل ذلك بأربع سنوات.

واشتهرت (مكتبة الشرق) بروادها، وهم نخبة بارزة من كبار السياسيين الوطنيين وأرباب القلم الذين كانت تربطهم بصاحبها صلات مودة حقيقة، فمن روادها من العلماء: نجم الدين الواعظ، وإسماعيل الواعظ، والشيخ نعمان الاعظمي، وقاسم القيسي، وكمال الدين الطائي، وغيرهم.

ومن الشعراء: جميل صدقي الزهاوي، ومعروف الرصافي، وعبد الستار القرغولي، وعبد الرحمن البنا، وإبراهيم أدهم الزهاوي، وكمال نصرت، وأكرم احمد، وناجي القشطيني، وغيرهم، ومن الأدباء: محمود فهمي درويش، ومصطفى علي، واحمد حامد الصراف، وتوفيق الفكيكي، وإبراهيم الواعظ، ومن السياسيين والصحفيين الوطنيين: سعيد ثابت، وروفائيل بطي، ونوري ثابت (صاحب جريدة حبزبوز)، وعبد الغفور البدري، وحسين العاني (مدير مدرسة التفيض)، و فاضل قاسم راجي، وغيرهم.

وقد ذكر لنا بعض المعمرين ان الملا خضر قد جاء من شهربان وسكن بغداد وفتح مكتبته في سوق السراي، وقد ذكر السيد كاظم الحيدري (ت١٩٩٠) ان الشيخ محمد السماوي عندما عين في مجلس التمييز الجعفري كان يجلس في مكتبة الحيدري بعد انتهاء الدوام وصادف ان مر من امام المكتبة الملا خضر فقال السماوي ان الملا خضر كان قد اشتغل سقا في السماوة في الماضي (من أحاديث السيد كاظم الحيدري إلى الأستاذ رفعت عبد الرزاق محمد)

## جهود وطنية

عرف عبد الكريم خضر، منذ أول شبابه وحتى لحظة استشهاده، باندفاع شديد للعمل الوطني والقومي، والمشاركة في كل النشاطات الوطنية المناوئة للاحتلال البريطاني والهيمنة الأجنبية، فشارك مع عدد من المثقفين الشبان من مدرسي وطلبة المدرسة الأهلية في بغداد( تلك المدرسة الرائدة في مجال التعليم الوطني أسسها المرحوم علي بن عبد الحميد البازركان، وافتتحت في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩١٩) في تشكيل فرقة تمثيلية استهدفت نشر الوعي القومي عن طريق تقديم عروض مسرحية هادفة، فكان مما قدمته هذه الفرقة (فتح بيت المقدس) و(القادسية) ومسرحيات أخرى أستوحى أكثرها من التاريخ الإسلامي، وكان لها أثر في إلهاب المشاعر الوطنية والقومية ضد الهيمنة الأجنبية ومصالحها الاقتصادية، كما شارك في خلال اندلاع ثورة العراق الوطنية سنة ١٩٢٠، مع (أعضاء لجنة الخطابة والتمثيل) التي ضمت لفيفاً من طلبة المدرسة آنذاك، في تقديم عرض مسرحي بعنوان (الوطن)، ثم في الخروج، أثر استشهاد أول شهداء الثورة في باب جامع الحيدرخانه، في مظاهرة كبيرة، انضمت أليها الجماهير، للتنديد بسياسة المحتلين البريطانيين، وقد أشرنا إلى إصابة أخيه عبد الرحمن برصاصة في أثناء المواجهات التي وقعت بين قادة المظاهرة وقوات الاحتلال.

وفي أثناء مدة الانتداب أندفع ذات مرة فكسر ساق جندي بريطاني حاول أن يضرب عدداً من النسوة اللاتي تجمعن لشراء الخبز من أحد المخابز في بغداد، فما كان من السلطة إلا أن قدمته للمحاكمة، وصدر عليه حكم بالجلد، ونفذ الحكم، وحينما زار الفريد موند، وهو أحد أقطاب الحركة الصهيونية، بغداد في شباط سنة ١٩٢٨، كان عبد الكريم خضر أحد الشبان الذين نشطوا في تنظيم المظاهرات الصاخبة التي احتجت على هذه الزيارة، ورددت الشعارات المعادية للحركة الصهيونية، وكان ان اصطدم مع زملاء له في تلك المظاهرات، بقوة من الشرطة نزلت الشارع لتفرقها، وحينما حدث الاضراب العام ضد شركة الكهرباء البريطانية في سنة ١٩٣٣ وبداية ١٩٣٤، للمطالبة بتخفيض الأجور وتحسين اداء الشركة، كان هو من أشد المتحمسين من أجل انجاح الاضراب، داعياً الى استعمال وسائل الانارة البدائية والامتناع عن استهلاك التيار الكهربائي حتى تستجيب الشركة الى مطالب المستهلكين، وبدأ بنفسه، فلم ير نور المصباح الكهربائي سبيله الى بيته حتى انتهاء الاضراب (سعد عبد الكريم خضر: أوراق خطية بقلمه اطلعني عليها مشكوراً (الكلام للدكتور عماد عبد السلام رؤوف، المصدر السابق)..

وفضلاً عن ذلك فقد كان انتقاء الكتاب وتوزيعه عملاً وطنياً في نظره، حيث كان يستورد الكتب السياسية التي تبحث في القضية العربية والكفاح ضد الاستعمار، أو التي تتناول التراث العربي الإسلامي خاصة، ويعنى بتوزيعها بأسعار زهيدة نسبياً مستهدفاً تيسير وصولها الى أكبر عدد من القراء، وقد اتفق مع ثوار فلسطين اللاجئين الى العراق على توزيع كتبهم، ومنها (فلسطين الدامية)( أصدرته جريدة الجزيرة بدمشق، وطبع في مطبعة الاعتدال بدمشق سنة ١٩٣٧ و(فلسطين الشهيدة)( أصدرته جريدة الجزيرة بدمشق، وطبع في مطبعة الاعتدال بدمشق سنة ١٩٣٧ و(مغامرات في جبال فلسطين) وغيرها، فضلاً عن توزيع كتب وطنية وقومية أخرى، منها كتابا (عربي المستقل) و(ما العلاج) لعبد الرزاق الحصان، وكتاب (النفط مستعبد الشعوب) للكاتب اللبناني يوسف يزبك، وقد صادرته السلطات غير مرة، لكنه تمكن من توزيعه، كما عمل على ايصال المجلات القومية الى العراق، فأصبح وكيلاً لمجلة الرابطة العربية التي أصدرها في القاهرة أمين سعد، ووكيلاً لمجلة العرب التي أصدرها عجاج نويهض في القدس، وقد ربطت الصداقة بينه وبين عدد من الشخصيات العربية التي كانت تزور بغداد أو تقيم فيها، ومنها المناضل الفلسطيني عبد القادر الحسيني، والطبيب النابه أمين رويحة وسواهما، وحينما أسس القوميون العرب في بغداد (نادي المثنى) سنة ١٩٣٥ ليكون مقراً للعمل القومي، ساند عبد الكريم خضر نشاطاته، وتعاطف مع أهدافه وروج لمطبوعاته، وكثر تردده عليه، وكان ان أهدى النادي (ذات مرة) لوحة كبيرة خط عليها خطاط فلسطيني الآية الكريمة "لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا" (المائدة، الآية ٨٥) ( أصدرته جريدة الجزيرة بدمشق، وطبع في مطبعة الاعتدال بدمشق سنة ١٩٣٧ (الدكتور عماد، المصدر السابق)، وله مقالات كان ينشرها في بعض الصحف، إلا ان أكثرها كان ينشره بأسماء مستعارة.

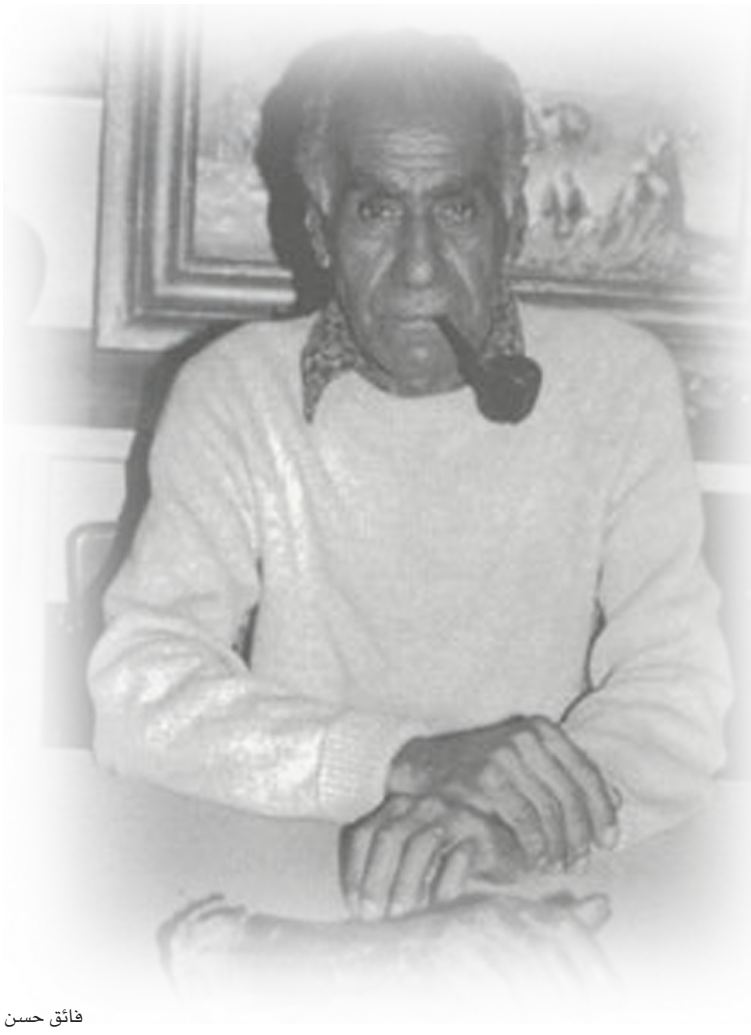
فائق حسن